٨- آليات العولمة وقيمها الثقافية

ان العالم يشـهد تحولات عميقة تشكل في حد ذاتها ثورة ثقافية، وإعلامية، من شـانها أحداث تغيرات مهمة، انعكسـت على حركة المجتمع المادية والفكرية والخلقية والروحية، كما انعكسـت كذلك على المثل والقيم، والمعايير، وطرائق الحياة المختلفة. ولا يمكن ان نعزل القيم السائدة عن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي تفرز هذه القيم حيث توجد في كل مجتمع القيم السـلبية جنباً إلى جنب القيم الايجابية ونقصـد بالقيم الايجابية هنا القيم التي تقوم على إقامة العدالة التي تعتمد على العلم والعقل وتؤمن بالمشـاركة والانتماء والتعاون، والمسـاواة. كما نقصـد بالقيم السـلبية القيم التي تدعو إلى التمسـك بما هو كائن وترفض التغير وتبرر اسـتغلال طبقة معينة لباقي الطبقات، وتدعيم الغيبة وتبرز خداع الجماهير من جانب الصـفوة، ومنذ تطبيق سـياسـات العولمة، والمجتمع يعاني من حالة تردي في كثير من قيمنا، وسـيطرة القيم السلبية على القيم الايجابية، ولم يعد انتشار هذه القيم قاصراً على طبقة معينة بالذات او مهنة بعينها بل تغلغلت في المجتمع بأسـره، ولكن كان انعكاسـها اكبر على فئة الشباب، فقد أدت الثورة العلمية والتكنولوجية وخاصة في مجال الاتصال إلى اختراق عقول الشباب وحواسهم، وأصبح الشباب يدركون ذلك دون الكبار، وقد ادى هذا إلى اهتزاز الكثير من القيم والأفكار والقيم والتصـورات التقليدية، وقيم وأفكار وتصـورات العصـر الحالي من جهة أُخرى، وفي هذا الإطار يعيش الشـباب في تناقض وصـراع مع جيل الكبار، الذين تربوا على المفاهيم التقليدية وبين المفاهيم الجديدة التي دعمها التطور العلمي والتكنولوجي وخاصة في مجال الاتصال والإعلام على وجه الدقة.

فالعولمة الثقافية (Culture Globalization) تتضـمن بلوغ البشـرية مرحلة الحرية الكاملة لانتقال الأفكار والمعلومات والاتجاهات، والقيم والأذواق على الصـعيد العالمي، وقد فقدت الدول في ظل القدرة على التحكم في تدفق الأفكار والمعلومات والقيم فيما بين المجتمعات حيث أصـبح ذلك يتم عبر وسـائل وتقنيات جديدة لم تبرز من قبل فقد أصـبح الملايين من البشـر موحدين من خلال البث الفضـائي وشـبكات الانترنت والبريد الالكتروني.

فالتلفزيون يعد الوسيلة الأكثر انتشاراً وشعبية، من بين كافة وسائل الاتصال، والإعلام الجماهيري على مستوى العالم، كما انه يتميز بتنوع مواده بين إخبارية، وعلمية وثقافية وترفيهية. فضلاً عن المواد الإعلامية.

ولعل من أهم التطورات التي طرأت على هذا الجهاز خلال السنوات القليلة الماضية، كونه أصبح وسيلة إعلام كوكبية، بأكثر من كونها محلية. وذلك مع البث الفضائي المجاوز للحدود الوطنية، ومن ثم اتسع مجال الاختيار والتفضيل على كافة المستويات أمام جمهور المشاهدين وهو تطور يتساوق مع التطور الرأسمالي متعددي الجنسية، وأدواته الرئيسة: الشركات متعددة الجنسية، تلك التي تتشابك داخلها كافة المستويات، سواء كانت الاقتصادية، او السياسية، او الإيديولوجية الثقافية، ومن ثم أصبح هذا الجهاز بمثابة ملتقى لتفاعل الثقافات والقيم، المحلية والكوكبية التي تتأثر وتؤثر- بدرجات متفاوتة- على المتلقين في جميع أنحاء العالم.

وفي العالم العربي توجد توجهات جديدة ومثيرة في النشاط الإعلامي في مرحلة ما بعد المحلية وهي مرحلة البث الفضائي، هو جزء من آليات العولمة الجديدة في المجال التقني حيث توجد مجموعة من البرامج التي ترسخ قيماً جديدة وخطيرة للغاية في البناء العقلي والنفسي للإنسان العربي، وذلك من خلال اللعب على مشاعر الناس وخاصة البسطاء منهم، وترسيخ فيهم فكرة البحث عن الثراء السريع، وهناك برامج أُخرى تعتبر بمثابة توظيف لخدمات وتوجيهات عالمية تصب في النهاية في خدمة قيم مدمرة للبناء الاجتماعي على اعتبار انها تترسخ في معنى الحياة مقامرة وضربة حظ، وحينما تترسخ هذه المعاني في المجتمع يعاني من ضعف الفعالية الإنتاجية ويعاني من اختلافات هيكلية في اقتصادياته، فان الأمر سيكون أكثر تدميراً.

ولقد شهد العالم المعاصر تطورات تقودها الدول المتقدمة في إطار المحاولات الدؤوبة لعولمة الثقافة والتعليم والدين، وفي هذا الإطار تبرز الأدوات الجديدة للإعلام والاتصال المعاصر.

وأصبح المجتمع العربي يستقبل الآن ما يسمى بالتدفق الهائل الإعلامي، والثقافة وهذا الكم الهائل، من المعلومات والآراء والأفكار والقيم والمعتقدات التي تتدفق إلى الوطن العربي بطرق شتى أهمها التقنية التلفزيونية الفضائية.

ويشير احد الباحثين إلى ان المشكلة الرئيسية هي كيفية مواكبة العصر بتغييراته، ومستجداته الحديثة، والتصدي في نفس الوقت للمخاطر والتهديدات التي تؤثر على الهوية الثقافية خاصة انه حتى الآن لم يتم التوصل إلى صيغ مناسبة هدفها غرس الوعي بأهم واخطر المستجدات العالمية في أذهان الأجيال الجديدة التي تعيش الآن حياة مغايرة لحياة أسلافنا، دون فهم لهذه المخاطر، وهو ما يعرضها إلى الانسياق وراء التيارات العالمية، وتقديم تنازلات دون وعي او اهتمام!! متصورة ان النمط الغربي، او الأمريكي هو النمط المثالي للتحضر والحداثة والعصرية.

فقد عملت الكثير من القنوات الفضائية على التأثير السلبي في الجانب الأخلاقي بين فئة الشباب، مثل الترويج للإباحية، والخلاعية، الترويج للسلع الأجنبية وبخاصة بين النساء، فضلا عن تأثير الفضائيات على الجوانب العقائدية والثقافية، والسلوكية، مما يدفع إلى التشتت بين ما يتعلمه المرء ويتربى عليه، وبين ما يشاهده من برامج مناقضة لذلك، ما يجعله يعيش في عالم من الوهم والخيال. وقد تسببت الفضائيات في ظهور صور وحالات من الانحلال الأخلاقي التي لم تكن معروفة من قبل.